



من سير
أهل النهر

١٢

عمر حديد
رحمه الله

مجلس شوري المجاهدين في العراق



بسم الله الرحمن الرحيم (عمر حديد)

علم أعلام الفلوجة

وسيدُ الشرّاء فيها - نحسبه كذلك - ؛ إربها البار، وسيدُها المطاع، وقائدها المغوار، مَنْ أمسك بتلابيب المج، فلان له وانصاع، رغبت نفسه بالعلا، فلم يرَضَ بغير عدن، مهاب الجانب ولين الجناح، أسم على الأعداء سيف سلط، وعلى الإخوان سلسيل زلال، هو في الرأس شامة، وعلى الجبين تاج، إذا رأيته ذكرت الله، واطمأنت الرّس وارتاحت؛ أسرع الرأس للرأس خيراً، وأبعد الرأس طلباً.

هو "عمر حديد"، أو عمر حسين حديد المحمدي، أسد الفلوجة ال ذي أخ ذمجام ع البطولة، واكتفى بسرّ بالهيق هذا الجبل الأشم الذي جعل من المدينة الصّ غيرة للنّاس علماً، وبين الفخر آية، وفي المج شرفاً، لم يسعَ لشيء من الذكر ولا أراد الشهرة يوماً، ولا كان لها يلتفت أو عليها يهكي، ولأجلها يجّد ويسرعى كما يفعل الكثير، لكن ع ز الدنيا والآخرة - نحسب والله حسيباً - كان نصيباً وكيف لا وهو ابن العقيدة البار، وتلميذها الرّحيب، وداعيتها الموفق الصّادع بالحق، المهتلى في الله، الموحّد في زمان الظّلة، والسّاعي لمسح ركام الغفلة، وذلك زمن الطّاغوت الهالك (إن شاء الله) سيّد البعث صدام حسين.

حيث تعرّف حبيبنا على الأخ الدّاعية "محمد شيشاني"، و بمسجد الفيض شك لا أول مجموعة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عاصمة البّاع ومهد الخرافة في تلك الفترة (الفلوجة)، حيث تمكّنت هذه المجموعة من تحطيم محلات "الفيديو" الماجنة، وحلاقة النّساء (التي تستخدم في الباطن لأعمال أخرى)، وأماكن الخمر، ثمّ زحفوا إلى القرى المجاورة حتّى وصلوا إلى "الكرمة"، لكن أبي الله إلا أن يمد له فيبتليّه، وأعقل أحد أفراد المجموعة حيث أعترف بدور الشيخ البارز وصاحبه، فدوّه ما في أحد الدّور لكنّ الشّ هيد البطل وصاحب تمكّننا من فكّ الحصار، بعد أن قتلا أحد أعلام الطّاغوت وجرحا آخرين؛ وهنا



بدأت أول رحلات الشّرد ودُروس الغُربة، فتنقّل بين مُدن العراق يطلبُ الأمان، ويدعو إلى الله.

وفي يومٍ من الأيّام جاء أحدُ أقاربهِ وكان مسؤولاً في الاستخبارات ذلك الوقت، وقال له: "تعالَ معي ساعةً واحدةً وأنا أتعّد أن ترجعَ ولا يُطالبُ أبداً، لكن شيئاً صوريّاً فقط، نعلنُ القُبّة وألّاكَ برئاً من قتلِ الجُندي وبعدها تنجو". فنظرَ عُمراً إليه وقال: "بل أنْ جُ أنتَ بنفسك من عذابِ الله، إذا سألك على عمالتك لهذا الطّاغوت، وأمّا أنا فمُرتاحٌ وناجٍ بحولِ الله والله غالبٌ على أمره".

وسقطَ نظامُ البعث، وبدأ القائد يبحثُ عن دَوْرِهِ، لطُمُوح العقيدة بين جنبيه، فذهب إلى "راوة"، وهناك أسّس أولَ معسكرٍ للأخوة العرب المهاجرين، مع الأخ الشّهيد أبي محمّد اللبناني وغيرهم.

ثمّ جاء إلى الفلوجة، وقادَ أولَ معركةٍ ضدّ آلياتٍ أمريكية، أسفُهد فيها ثلاثةً من الأخوة ونجى هو وآخرٌ من الموتِ بأعجوبة، وعلّم الرّجل ما هو مطلوبٌ مرّةً، فبدأ بجمّع السّلاح بكافّة أشكاله وأنواعه.

ثمّ بدأ بأهل بيته يعظّمهم ويذكّرهم ويدعوهم إلى الله، فلانت له قلوبهم ودانوا له بالإمارة والسّمع والطّاعة، كبيرهم وصغيرهم، ولقد رأيتُ عمّه كابن عمّه صغيرهم وكبيرهم، الكلّ يقول: جاء الشّيخ عُمَر وراح الشّيخ عُمَر، وإذا جالس قاموا على خدمته "مع إباء منه"، وإذا تكلم أسرّعوا في طلبه وهذه من نعم الله عليه.

فما أسفُهد الرّجل حتى دُفن بنفسه أخوه الأكبر "عبد الستير"، وابن عمّه الوفيّ "جاسم" طالبُ الشريعة وغيرهم. فللّهم درّكم آل حديد، وشرّفكم في الآخرة، كما تشرّفتم بالدّين في الدّنيا.

أول مرّة رأيته كان يلبس عباءةً، وعلى رأسه "شماغ" وعقال، يتكلّم بأدبٍ ويتبسّم بجيا، فظننتُ أنّه شيخٌ من شيوخ العشائ، فذكر الشّعْر وإذا به يقول منه الكثير، لكنّي للأسف لا أحفظُ منه حالياً شيئاً، ولعلّي أجمعُ منه بعضاً بعد ذلك. فزاد في عيني؛ أدبٌ وعلمٌ وجهادٌ وهيبة، فملت على مَنْ بجاني وسألته من الشّيخ؟، قال: ألا تعرفُ؟ قلت: لا، قال: هذا



عمرٌ حديد من الفلوجة. وهذه كانت بدايتي معه، ثم بدأت أحداث الفلوجة الأولى، تلُك الأحداث التي شكّلت مُنْغطفاً جديداً في تلوِيخ سيرته وسيرة غيره الجهادية، بل في سيرة المدينة نفسها، حتى أنّ إذا ذُكرت الفلوجة ذُكر عُمر، وإذا ذُكر عُمر ذُكرت الفلوجة، فهما وجهان لشرف واحد، كلاهما أثر على الآخر، بدءاً من أحداث مُديرية الأمّ ن والقائمقامية"، وانتهاءً برحيل البطل.

لكرّي أبدأ من الفلوجة الأولى، حيث أحبّ هنا أن أسجّل ما أظنّ أنه كان سبباً - والعلم عند الله - لعلو شأن الرجل ورفعة منزلته في الدنيا، وأسأل الله أن يرفع من منزلته في الآخرة؛ وهو أنّ عندما أقنصم الأمريكان الفلوجة أوّل الأمر، احتبأ أكثر الرّاس في بيوتهم، وبنأ الوجل يدبّ في أوصالهم، وخافوا على أهلهم وأولادهم وأموالهم.

لكنّ عُمر ما خاف إلا الله، فذهب إلى بيته وأخذ يجرّض أهله وأبناء عُمومته ومَن معه، ثمّ حلّم رشاشه وجرى خلفه أخوه عبد السّير وأبناء عُمومته وعلى رأسهم الشّاب جاسم. فأسرّع الرّاس إليهم "مالكم، مجانين؟، غطّوا وجوهكم، الأمريكان - الجواسيس - !!"، والرجل يجأر بأعلى صوته: "أخرجوا يا ناس، دافعوا عن أعراضكم، لن يتركوكم، أصدّقوا مع الله ساعة"؛ وأحسن الرّاس من يأت له بـ "شماغ" يغطّي به وجهه أو شربة ماء يروي بها ظمأه.

ورأيتُ والله الحُرقة على الدّين تملأ عُونه، والخوف على العرّض يملأ قلبه، والجرأة في أمر الله سمّته. فقلت؛ سبحان الله، صدق ابن علبّس لم تكلم عن أبي بكر، فقال "ما سَ بقلّم أبو بكر بكثير صلاة ولا صيام، ولكن بشيءٍ وقو في قلبه". ولعلّ عُمر حديد وقو في قلبه حبّ الدّين والغّيّة على أهله، فلذا ضحّى بنفسه وأهله ولم يلتفت.

ولكن سبحان الله القائل: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}. فعلى قدر البلاغ تكون العزيمة، كما قال الشّيخ سيّد قطب رحمه الله.

وعلى الرّغم من أنّ كثيراً من بيوت الفلوجة قصّفت ودمّرت بسبغم خلّوها حيث هجّرها أهلها وفرّوا، إلا أنّ بيت عُمر والذي كان مأوى للمُجاهدين من المُهاجرين والأنصار ومقرّاً



لطعامهم ودوايحهم، فلم يُجرب بسوء، بل ألهم قصره أكثر من مرة ولم يُجرب بسوء بل دُمر ما حوله؛ فسبحان الله .

بدأت المعركة؛ وشكّل عُمر مع الشيخ أبي أنس الشامي وأبي عزّام وغيرهم القيادة العامّة للمعركة. وكان من نصيب عُمر، الإشراف العام أو الإمارة العامّة على أثنى أملك من الصّراع وأشدّها وطأة؛ (الجولان)، حيثُ حاول العدوّ مرّات ومرّات أن يدخل المدينة من جهتها، لأسباب كثيرة أهمّها:

- قصر المسافة بين مواقع العدو ومقرّ الجولان.

- طول خطّ الجبهة من هذه الجهة، ممّ يصعب على المجاهدين حمايته.

فوالله لقد كنّت في هذه الجبهة، فلصوت عُمر في المعركة بألف فارس، ورؤيته ترفع الروح المعنوية وتزرع الثقة في الرّجوس.

أذكر مرّة أنّ مجموعة من الأخوة ذهبت لمهاجمة أحد مواقع الأميركيين، ولما غلّ الخبار إلى الشيخ عمر حديد، أنّ الأخوة محاصرون، فجاء كأنه الرّيح المرسلة يحمل رشاشه، وكان من نوع "ناتو- أبو الأحص الحديدي"، وبدأ ينشر الأخوة ويؤر فيه م: "لابدّ أن نخلص الأخوة، هيّا شباب"، وتقدّم بنفسه من أحد الجهات، وبدأ بتنسيق الجهات الأخرى حتى يسرّ الله وخرج الأخوة مُنتصرين بعد أن كانوا مُحاصرين.

وكانت نقطة الشيخ عُمر دائماً محلّاً لقصفٍ دائمٍ ومستمر، فلم يتركوا فيها أرضاً ولا بيتاً، آخرهم كان البيت الذي يُستخدم مخزناً للدّخيرة، وكان ذلك قبل انتهاء المعركة بأيام، وكانت هذه الدّخيرة آخر ما كان عندنا من عتاد، فحرّن عُمر حُزناً شديداً، وأشتكى إلى الشيخ أبي أنس، فقال له "يفرجُ الله يا عُمر"، وبعدها جاء الرّصّ والظفر، وذلك بعد اسفواغ الوسّع في بذل السّرب، فلمّا ذهبت أسباب الأرض، نزل سبب السّماء بفتح مُبين.

ثمّ بدأ الشيخ عُمر بعد الفلوجة الأولى أهمّ مراحل حياته، حيثُ بدأ يؤسّس لبداية عصرٍ من الخير والبركة، فشكّل مع مجموعة من إخوانه (مجلس شوري المجاهدين)، والذي كان يأمل أن يكون نواة حكم إسلامي لمدينة الفلوجة، بل بدأ عُمر وإخوانه يقومون بواجب الأم



بالمعروف والرهبي عن المنكر، وقام بتنحية شيوخ الصوف المذموم، الذين فروا من المدينة مع بداية الهجوم الأمريكي، وقام بتعيين مجموعة من الشهاب الموحّد، ملّم جعل عُمر عَ رَضاً لسرّهم هؤلاء الجبناء، فبدءوا يلصقون به كلّ نُهْمَة، ويرؤونه من كلّ حسنه، لكن الشّ رفاء من أهل المدينة عرفوه ناصحاً للناس حاكماً بينه م بالعدّل، و إذا عُرضت عليه مُشكلة يأخذ الحقّ من الظّالم مه ما كان حجّمه وقدره.

و من مآثر عُمر المعروفة أنّه لمّ شَعَر بأنّ فيلق الفلّوجة من الحرس الوثني، بدأت تظهر منه رائحة الغدر و الخيانة، هجّم على مقرّاته، وقبض على رؤوسهم، ثمّ أعدمهم واسنّولى على مقرّاتهم بما فيها من سلاح وعتاد ولباس، وطهر المدينة من دنسهم؛ ولحّ زن الأمريكان عليهم، قام هؤلاء الغزاة بعمل لوحة ضخمة أمام أحد أهمّ قواعدهم، عليها صورة أمّ ر الحرس الوثني بالفلّوجة. ثمّ استمرّ عُمر يحدّد ويجهّز لغزو مُحتمل من الأمريكان، بدءاً من تجهيز وشراء السلاح، وسدّ الشّخّات، وأسردت إليه مرّة أخرى قيادة الجولان.

وجاءت أحداث الفلّوجة الثانية، وكان موقعه كما أسلفنا بالجولان، وكرّ بُعي نزال مع الشّيخ أبي عزّام، وعبد الهادي وأبي ربيع، وآخرين من المهاجرين والأنصار، و بدأت أخبار الجولان تأتي إلينا غير سارة البقّة وكان آخرها ألماً أنّ عُمر حديد قد قُتل، فتألّم الجميع وصار الحزن سيّ الموقف.

وفي صبيحة يوم مُشرق، أطلّ علينا عُمر وقد أُصيب في ظهّره وكفه الأيمن، يحملُ رشاشه، وفي هذه المرّة (16 إم) الأمريكي فكسبنا جميعاً، وسجدنا لله شكراً، ثمّ حكى لنا قصّة إصابته وكيف استطاع مع إخوانه فكّ طوق الحصار المفروض عليه، وجاء إلى حي نزال، ومن هذا الحيّ بدأ عُمر يمارس دوره القياديّ، فعلى الرّغم من إصابته وصعوبة حركته، كانت إذا استعصّت منطقتُ أرسلناه إليها لسبب هامّ ؛ أنّ الأخوة إذا رأوه يتحمّسون ويتشجّعون ويكون الإقدام شِعارهم ومنه م من يستحي منه، ثمّ إنّ عُمر كان صاحب سرّ في هذا الأمر الله به عليم. وأقتحم الأمريكان حي نزال، وقاتل قتال الأبطال ، وتفرّق الأخوة مجموعات، فذهبتُ مع مجموعة وذهب هو مع أخرى، ثمّ جاء مع محمّد جاسم العيساوي (أبو الحارث)، وآخرين والبقية تعلو وجهه قائلاً: "إنّ شاء الله النصر لنا،



هزمهم إن شاء الله، إنا نطمع فيما عند الله"، وكُنْتُ أعلم أنه يعني الجرح، ثم بدأ القتال يتم في أنحاء حي نزال فبدأنا ننحاز من بيتٍ لبيت.

وفي هذه الأيّام انحاز الأخوة ولم أستطع أنا وثلاثة من الأخوة أن ننحاز لأسباب كثيرة ؛ ونظر عُمر إلى البيت الذي كُنْتُ فيه، فجُنَّ جُنونه، لأنه رأى القنّاصة فوق سطح البيت وخاف علينا خوفاً شديداً، فأخذ سلاحه الـ (إم 16)، وبدأ يقرص عليهم، فقلّص الأول ثم قرص الثاني، وعلى إثرها فرّ الجبناء من سطح البيت، ولمّسه لخرجونا بحول الله من المنزل.

ثم جاء (نداء المرأة) كما يعرف من كان في حي نزال، والذي أمروا فيه بخروج كل حي من المدينة إلى أماكن حدّودها. فعلم الجميع أن الموت قادم لا محالة، وأن الجبناء سوف يستخدمون أساليب قذرة.

وبالفعل، استعّدت الغازات السّامة والحارقة، وما كَشَفُوهُ مؤخّراً من موضوع الفئس فور الأبيض غيَّض من فيض.

وبدأ عُمر ينحاز من مكانٍ لآخر، حتّى استقرّ به المقام في أحد البيوت مع أكثر من عشرة من الأخوة. وإذا به يشعر بالأمريكان يحاولون اقتحام المنزل، فصع على السطح وبدأ في الاشتباك معهم، لكنّ طلقة قلاصٍ كان متخبي في بيتٍ مُقابلٍ أصابته في رأسه، فترجّ ل الفارس، وإن صحّ العبّير، فركب الفارس جواده ليصوّل به ويجول في غلياء المبح والشرّف ويمرح به في جنات عدنٍ عند مليكٍ مقتدر، نحسبُ والله حسيبه.

وأصاب الأخوة بعده ما أصابهم، لكنّ الجميع احتسبوا عِزَّ الله، فقد ارتاح من هذه الدنيا وتعبها. ومن جَميل الأشياء أن الأمريكان استخدّموا في حربهم هذه كلّ وسيلة كعادتهم، ومنها الحرب الرّقسيّة.

وموضِعُ الجَمال في القصّة: أنه كثيراً ما كانوا يُقادون في مكبّرات الصّوت : "أخرجوا ، سلّموا أنفسكم، إنكم مُحاصرون، سبيدكم، لقد فرّ قادتكم، لقد تركوكم، عُمر حديد الجَبان فرّ وترككم، طلب الحياة وترككم تموتون...".



فيسمعها عُمر ويضْحِكُ، والإخوةُ منْ حوله يضحكون، ويزدادون ثباتاً وحقيناً فيما عنْ د الله، {فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}.

وأذكر مرةً أنَّهُم قالوا فيما قالوا: لقدْ جئناكم بأسْلحةٍ مُدمِّرة، سوفْ تحرق الأرضَ عليكم و تقطّر السَّمَاءُ ناراً، عندنا قوّةٌ جبليّةٌ لا طاقةَ لأحدٍ بها، فضحكتُ والله ساعها من صميم قلبي، وقلتُ لإخواني: "أبشّروا، فوالله هذا الكلام بعده الفرَجُ القريب". فما تأخّر والحمد لله، وفي الختام أسألُ الله ألاّ يحرمنا منْ عُمر وإخوانه في الجنّة، وأن يرزقني بحبٍّ وحبٍّ أمثاله ما أطمعُ به فيه، والله المُسَعِّانُ وعليه التكلان.

وكتبه

أبو إسماعيل المهاجر